

الحديث ذو شجون للدكتور زكي مبارك

أزمة المجلات الأدبية — خطر العالنية على الأدب الصحيح — أين
الأمة العربية — خطاب جيل — الجليش للرباط في المبادئ الفكرية

أزمة المجلات الأدبية

إنشاء مجلة في مصر أو في غير مصر عمل لا يعرفه إلا من
يعانيه ، وتريد متاعب هذا العمل إذا أريد أن تكون المجلة مقصورة
على الأدب المصروف ، بحيث لا تكون لها موارد غير عواطف
القراء ، والقارى لا يدفع قرشاً في مجلة أدبية إلا إذا وثق بأنه
من الناعين ، ولا تظهر المجلة بثقة القارى إلا بعد جهود تفر من
حملها الجبال

وقد كنت فيما سلف من الأيام أثني على
حضاقة الأستاذ الزيات ، كنت أقول إن
العقل هداه إلى أن الضمير المصرى لا بد له
من مجلة لا تهتم بغير الأدب المصروف ،
ولا تقبل مواجهة الجمهور بغير الفكر المشرق
في الأسلوب الجليل
ثم جدت شواهد أفنعتني بأن روح

التضحية هو الأصل في إنشاء المجلة الأدبية ، وإن كان الله عزَّ شأنه
تفضل فجعل « الرسالة » مصدر خير لصدقنا الزيات ، فقد قيل
— والله الحمد — إنها صيرته من الأغنياء بدليل سيطرته على بعض
الشواطيء من « بحر شبين » وهو النهر الذى يسقى سنتريس
فيا ساكني أكناف دجلة كلكم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب
ومع هذا فانا أشعر بقيمة التضحية حين أكتفى بالكتابة
في الشؤون الأدبية ، ولتفصيل هذه اللجة أذكر النكتة الآتية :
فلان رجل كريم جداً ، وهو حين يرانى يطيع له
أن يحببني فيقول : « لقد قرأت مقالك في مجلة الرسالة »
ولكن هذا الرجل الكريم لا يلقى هذه التحية إلا بلهجة
التصدق أ

فهل يكون الحال كذلك لو كنت أكتب في الشؤون
السياسية وأستبيح إيذاء الناس بغير حساب ، كما يصنع بعض
الكتاب السياسيين ؟

الصحافة الأدبية مسيرة بالضمير الأدبي ، وهو يأبى على
أحجابه أن يتريدوا على الناس طاعة للأهواء ، أو طاعة للأحزاب ،
فما خوف الناس منا ونحن لا نملك غير الصدق ، ولا نصول
حين نصول إلا في حدود الأدب والذوق ؟

المجلة السياسية تصل إلى أيدي الوزراء قبل أن تصل إلى
أيدي الجمهور ، لأن الوزراء يحبون أن يعرفوا ما يقال فيهم بحق
أو بغير حق ، فهل تلقى منهم المجلة الأدبية بعض هذا الاهتمام
الطريف ؟ وكيف وهم من ظلم المجلات الأدبية في أمان ؟
ثم أتب إلى الغرض من هذه الكلمة فأقول :
أين معالي وزير التكوين ؟

لقد قرأت خطبته في الرد على الاستجواب
المعروف ، فرأيت يتحدث عن جميع ضروب
التكوين ، إلا الورق ، ورق المجلات الأدبية ،
أما ورق الجرائد اليومية والمجلات السياسية
فالفهم بداهة أن الحكومة ستعرف ما تصنع
إذا بخل به صنائع الجشع من الوراقين !

أنا لا أعرف وزير التكوين معرفة شخصية
حتى أحكم له أو عليه ، ولكني أعرفه معرفة
معموية ، وهذه المعرفة توجب أن أذكره بالواجب في رعاية أقوات
القول والأفهام والقلوب ، فمن المعقوف لمصر أن يقال إنها لم تحتج
إلا بأزمة الرغيف ، مع أن مصر أقدم أمة كان أكبر زادها العلم
والأدب والبيان

أكتب هذا وأنا أخشى أن يقال بعد أسابيع : إن مجلة
(الرسالة) عجزت عن الوصول إلى قوتها من الورق ... وأى
قوت ؟ ومن يعرف أن مجلة (الرسالة) لا تملك تزويد الأسواق
الأدبية بما تحتاج إليه تلك الأسواق ؟ من يعرف أن التضامن
الصحفى أصبح في حكم العدم ، وأن من المسير أن يقول أية
مجلة : إن من حقها أن تعتمد على أربحية « نقيب الصحفيين » ،
وعنده فيما سمعت أكبر كمية من الورق المخزون ؟

إن مجلة مثل (الرسالة) تقدم للجمهور شواغل نبيلة بالحديث
عن العلوم والآداب والفنون ، ولو التفتت الحكومة لأدركت

أهماء الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة
العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً
بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه
بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بسدد
الوراق . والرجو من أدباء كل قطر
أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا
الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق
والقالات والصور

أن انتشار مثل هذه المجلة يربحها كثيراً -- أو قليلاً -- من شيوع الأكاذيب والأراجيف ، فهل من الإسراف أن نطالب الحكومة بإعانة أمثال هذه المجلة على الظفر بمحاجتها من الورق ، لتبعض الحجة على أن متاعب هذه الأيام لا تنسى الحكومة واجبها في رعاية الأدواق والعقول ؟

سأنظر كيف يجيب وزير التموين ، إن تفضل بالجواب ؟

مظهر المملوئية على الأدب الصحيح

من الآفات التي تعوق الأدب في هذا العصر أن الكتاب والشعراء لا يصبرون على طي ما يكتبون وما ينظمون ، وإنما يبادرون إلى النشر في الجرائد والمجلات ، ثم تكون النتيجة أن يضطروا إلى مراعاة الجماهير المختلفة في أكثر الشؤون ، فيخلو أدهمهم من الصراحة ، ويغلب عليهم ما يشبه الرياء من أمراض الكتمان أهم المصاعب التي يعانيها الأدب أنه صار من الوسائل الشريفة لكسب الرزق الحلال ، ومن الخير للأدب أن صار كذلك ، ليعرف من لم يكن يعرف أن القلم نعمة من النعم السوانع ، وأنه خلق بأن يفتح لحامله كرائم الآفاق

ولكن من الشر للأدب أن صار كذلك ، فقد أصبح أهله أسارى للمجتمع من قرب أو من بُعد ، وأصبح من المحتوم أن يراعوا طوائف من الرقباء ، بغض النظر عن الرقيب الذي تفرضه أيام الحرب ، لأنه رقيب لطيف ، لا يشور إلا في أندر الأحيان ؛ وأنا بهذا الكلام أترصد ليتعاقل عني تنافل الكرماء قسصر الله عمر الحرب لأشقى غليلي من ذلك الرقيب اللطيف !!

الرقباء الحقيقيون هم القراء ، ومدارة القارى مرض قديم في الصحافة المصرية ، وتلك المدارة هي علة العلل في جسم الأدب الحديث ، ونحن نحارب هذه الملة بلا هوادة ، ولكن في حدود يغلب فيها الترفق ، ومعنى ذلك أننا شجمان جبنا ، والعياذ بالدوق ! تلك الدنانير التي يجود بها الأدب على أصحابه ستحرم الأدب أعظم صفاته من الصراحة والصدق ، وقد تورثه عقايل يمز منها الشفاء

وهناك علة أخطر وأفطع ، هي علة الأديب الموظف : فالعُرف في الشرق لا يعترف بتعدد الشخصيات للرجل الواحد ، ولا يسوغ في ذهن هذا العُرف البليد أن يكون للرجل شخصية حين يباشر عمله الرسمي في الديوان ، وشخصيات حين يخلو إلى القلم ، إن كان من رجال البيان

وأعجب العجب أن يرأى هذا العُرف نفسه بلا تأتم ولا تخرج ، فهو يشتمى أن تكون في الدنيا أقلام تحدته عن سرائره المطلوبة ، وهو مع ذلك يكره أن يكون هذا الفضل من نصيب هذا الكاتب أو ذاك ، وذلك عُرف الجمهور الذي نذاره كارهين ، ولم يبق من البلايا إلا أن تنق شر من نخدمهم بتراهة وإخلاص ... وعند الله ، وعند الله وحده الجزاء !

أقول هذا وقد مررت خمسة أحاديث قبل هذا الحديث ، فقد تحدثت فيها عن أشياء لا يجوز نشرها في هذا الوقت ، وإن كانت في الصميم من دواخل النفس الإنسانية ؛ فقد يقول عاقل أو جاهل : إننا في أيام لا تنسع للحديث عن سرائر النفوس كأن الصمير الأدبي يخضع لظرف الزمان وظرف المكان ، وكأن العبقرية الروحية تعرف الرسم والحدود ، وكأن مخاطر الحرب ومتاعب البؤس ومصاعب التموين تصد الروح الطامى عن هواء في ورود ينابيع الوجود

أبج الأمم العربية ؟

عند الأمم الأوروبية تقاليد أدبية تستأهل التسجيل ، فهناك يؤمن الكاتب بأمنه فيؤلف كتاباً في مئات أو آلاف الصفحات ليُنشر بعد موته بأعوام طوال

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الكاتب يثق بأن الصمير الأدبي في بلاده سيعيش ويمش إلى أن ينصفه من زمانه ولو بعد حين

ومعناه أن الكاتب يؤمن بالخلود

ومعناه أن الكاتب يشعر بنائرة الحق بعد أن يموت

ومعناه أيضاً أن الكاتب يعرف كيف ينتقم وهو في غيبة

الفناء ، أو حصانة البقاء

فأين الأمة العربية لتودعها دفائن مدورنا من أبناء هذا الزمان ؟ وأين من يفتش في دفاترنا بعد الموت ، ليرى ما سطرناه في أخلاق هذا الجيل ؟

جهادنا في خدمة القلم أضيع من الضياع ، ولولا الإيمان بأننا نؤدي خدمة قومية لقصفنا القلم بلا رحمة ولا إشفاق

وعند الله ، عند الله وحده الجزاء

خطاب

هو خطاب جميل ، ولكنه ليس في مجال الخطابات التي ألتقاها من الشاعر أحمد العجمي ، وإنما يرجع جماله إلى أنه يؤكد

حياة لا يصبر على مصاعبها التكال ، إلا من تفره الفطرة على
الأنس بالأدب في جميع الأحوال

وقد شهد التاريخ واعترف بأن الأمم لا يقام لها ميزان
إلا يوم يثبت أن لها حظاً من الروحية الفكرية والأدبية ،
لأن الفكر والأدب لا يكونان من أنصبة الشعوب ، إلا بعد
النضج المنشود في العقول والقلوب

فإل قوم يزعمون أن اشتغال بعض المصريين بالشؤون
الفكرية والأدبية في هذه الأيام دليل على أن مصر لا تشعر
شعوراً صحيحاً بالتأعب الدولية ؟

هذا كلام قيل في بعض المجلات ، وأضيف إليه أن فلاناً
لا يعيش في زمانه ، لأنه نسي أن الدنيا في حرب ، فتغل نفسه
بالحديث عن الفروق بين رجال الأدب ورجال القضاء

وأقول للمرة الأولى بعد الألف إن الأدب المفكر ليس أجيراً
لزمانه ، وليس أجيراً للوطن ولا للمجتمع ، فمن توهم أن الأدب
المفكر مسئول أمام قوة غير قوة الضمير فهو من أكابر الجاهلين !
نحن نخدم الوطن بأقلنا خدمة لا يعرفها المتحذلقون من
عبيد الشواغل اليومية ، نخدمه صادقين لا كاذبين ، ولا ننتظر منه
أى جزاء ، لأن خدماتنا تجل عن الجزاء

وماذا يملك الوطن حتى يكافئ المجاهدين من أرباب الأقلام ؟
أيمنحهم الألقاب ؟ أيمنحهم الأموال ؟
وأى لقب أنعم من لقب الأدب ؟ وأى ثروة أعظم من
روح الأدب ؟

أستغفر الله ، وأعتذر إلى الوطن العالى
جزاء الأدب من وطنه مضمون مضمون ، لأن الوطن
لا يتحدث بأفراحه وأتراحه إلا إلى الأدب ، ولا يجود بسريره
الروحية لنير الأدب ، ولأن الوطن يأبى أن يكون أساته من
طبقة غير طبقة الأوفياء من الأدباء

خدّام الوطن في غير ميدان الأدب يُحزّون بالألقاب
والأموال ، لأن خدماتهم تحتاج إلى تشجيع من ألوان الجزاء ،
أما خدّام الوطن في ميدان الأدب فهم أعزّ وأشرف من أن
تصدمهم عن الواجب عوادي التكران والجحود

وهل نخدم الوطن أو نحبه طائمين ، حتى نمنّ عليه بالخدمة
والحب ؟

هبات ثم هبات !

نظرية أخلاقية يكثر كلامي عنها في هذه الأحاديث ، وأنا
لا أمل ولن أمل من نقد مسالك الناس في معاملة الأصدقاء

هو إذن خطاب من صديق لا يعرف أدب الصديق مع
الصديق ، فقد شاء هراء أن يتوهم أن الصداقة تبيح أن يخاطبني
بما لا أحب ، كأن الصداقة تعفيه من رعاية الذوق ، وكأن المودة
تمنحه التحرر من قيود الآداب

إن في الناس من يهمنى بمحابة أصدقائي ، وإن فيهم من
يقول إنى أخلق الفرص لأتحدث عن أصدقائي بما يحبون في مقالاتي
ومؤلفاتي ، وأقول إن تلك الهمة صحيحة وإن هذا القول حق :
فأنا أتحيز لأصدقائي في السر والعلانية ، وأحب من يحبهم ،
وأعادي من يعاديهم . وأنا أنكر على أهل هذا العصر أن يعيبوا
تدنى الصديق عن عيوب الصديق ، بحجة الحرص على سلامة
المجتمع من العيوب

ومن يتعصب لأصدقائنا إذا لم تتمتع بهم ؟ وإلى من يطعنون
إذا عرفوا أننا نتعقب ما يجرّحون من هفوات ؟

أكتب هذا وقد تلقيت من أحد أصدقائي في بغداد خطاباً
يعيب عليّ فيه أن أثبت في كتاب « ملامح المجتمع العراقي » كلمة
في الثناء على السيد عبد القادر الكيلاني ، فهل يعرف ذلك الصديق
لأى غرض أثبت تلك الكلمة الطيبة لوجه الله ، ولوجه الحق ؟
أثبتها لأنى علمت أن السيد عبد القادر الكيلاني سيحاكم
أمام المحكمة العسكرية في بغداد ، بعد زمن قصير أو طويل ،
والراق الذي عرفته وعرفه التاريخ لا يُصدر حكماً إلا بعد سماع
أقوال الشهود المدول ، وأنا شاهد عدل في قضية هذا الرجل ،
ومن واجبي أن أسارع إلى كلمة الحق فيه ، قبل أن يقف
في ساحة القضاء . وكتبان الشهادة حياةً يأباه قضاء بغداد

وأقول بصراحة إنى كنت أخشى أن يمنع كتاب « ملامح
المجتمع العراقي » من دخول العراق ، لأنى تحدثت فيه عن رجال
تتبر فيهم رأى العراقيين ، ثم ظهر أن العراق لا يرضيه أن يصادر
كتاباً أملاه الصديق والإخلاص ، ونثره مؤلفه عن المدح والرياء
فهل أنهم الصديق اللأم الظالم بأن نسبه إلى العراق يحتاج
إلى برهان ؟

أعزّ الله العراق ، وجماء من جميع الأسواء

الميسر المرتبط في الميادين العسكرية

هو جيش الأدياء الصابرين على مكاره الحياة الأدبية ، وهي